

## الفصل الخامس

### نيويورك ( ١٠ )

❖ صدام حضارى .

❖ الإنسان .

❖ المال .

❖ الوجود الداعر .

❖ القبر .



## صدام حضاري :

كما تجمع قطرة المياه كل خصائص وصفات المحيط المملوءة منه ، كذلك يحمل الفرد كل خصائص الحضارة التي ينتمي إليها ، فهو لسانها المعبر عن كل ظواهرها وخوافيها .

فإذا ما التقى شخصان كل منهما ينتمي إلى حضارتين مختلفتين فسيحدث بينهما صدام ن وهو في حقيقته ليس صدام شخصين بقدر ما هو صدام حضارتين ، كل منهما يريد أن يحتوي الآخر ، وكل من الشخصين يعضد موقفه أمام الآخر . بأن يعرض جوهر حضارته ، ويدافع عنها بضراوة ، بنفس ضراوة محومه على حضارة الشخص الآخر .

وقد تحتوي إحدى الحضارتين الحضارة الأخرى إذا كان بينهما من وشائج القربى وأواصر التقارب ما يجعل إحدى الحضارتين لا تجد غضاظة في أن تحتوى حينئذ لا نقول عنه صدام حضاري ولكنه لقاء حدث بعد تفاهم وانسجام ثم احتواء .

أما إذا لم يكن هناك من وشائج القربى أو تشابه في الأصول أو تقارب في العرور ، كان تكون حضارة شرقية وأخرى غربية ، فهنا يكون الصدام ؛ لأن كل منهما له أصوله التي يختلف فيها عن الآخر ، وكما نرى . ( الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ) .

وكان لقاء بين القاص وبين تلك المعالجة النفسية أو التي تعمل بالبناء في أكبر مدينة تمثل قمة الحضارة الغربية ( نيويورك ) ، والرواية تحاول جاهدة أن

تبين هذا الاختلاف الحاد بين الشخصيتين في القيم والمعايير التي تحكم كل شخصية ، والتي يستمدّها كل منهما من حضارته .

وكل حضارة تحكمها فلسفة تحدد لها مقوماتها وأطرها العامة والخاصة التي تحدد تمايزها عن بقية الحضارات ، وهذا الاختلاف الحادث بين الشخصيتين أو اختلاف معاييرهم وقيمهم ونظرتهم للإنسان والحياة حادث لأن كل منهم يصدر عن مصدر غير الذي يصدر عنه الآخر .

فما هي القيم التي تحكم المجتمع الأمريكي التي نعير فيها الشخصية ؟

في هذا المجتمع لبس هناك ثبات لأي قيمة من القيم ، كل شيء حاض للبحث والتجريب ( الطولم ) ليس له وجود في هذا المجتمع . الجراءة والمعامرة والتغيير دافع لكل فرد من الأفراد . والمعيار الحق والقيمة الجديرة بالاهتمام هي المنفعة ، ما يعود على الفرد بالنعف ، والنعف المادي العاجل في الدنيا . تلك خلاصة فلسفة المجتمع ، التي نظرياً فلسفة الرحمانية : " والتي تفترض عدم الثبات في القيم والمعايير ، وتفترض - بل تستوجب - ضرورة تغييرها لتلاءم الظروف القائمة ، واذن فكل فرد مسئول أمام المشكلة التي تعترضه مسئول عن حلها حلاً موقفاً ، فيكون هذا الحل الموفق هو الصواب والحق . فاعترافنا أن الحق هو بحاج التنفد وليس يعي الأهدأ أنما يضع على الناس تبعه ، هي أن ينعضوا أيديهم من الاعتقادات الحامدة في السياسة والخلاق وأن يخضعوا أعز معتقداتهم للاحتبار العملي الذي يجعل

النتائج مقياس الحق وأن هذا التغيير في وجهة النظر لیتضمن تغيراً في مركز السلطة وفي وسائل اتخاذ القرارات في حياة المجتمع<sup>(١)</sup>.

فالمفاهيم المسبقة للأخلاق والقيم مرفوضة إلا بعد أن تثبت فائدتها أو نجاحها العملي في حياة الفرد والمجتمع ، فليس هناك قوة عليا تقلي على الإنسان الحق والواجب والمفروض فكل تلك التسميات لا تهبط من عل وإنما تنبت من أعماق التجربة وشواهد الواقع . وهما اللذان يعطيانها قوة الاعتقاد والرسوخ في وجدان الإنسان هناك ، وهذه المقولة تعطيانا في النهاية إنساناً له مفهوم خدوره تلك الفلسفة لكل من :

❖ الإنسان .

❖ القيم .

❖ المال .

وتلك المفاهيم لا انفصال بينها ، فالإنسان هو الذي يضع القيمة ويعلم من شأنها ، وكذلك يعلم من قيمة المال ويجعله غاية الغايات أو يجعله وسيلة لغاية أخرى وأرقى .

<sup>١</sup> - حياة الفكر في العالم الجديد - د . زكي نجيب محمود - صفحة ( ١٧٢ ) .

## الإنسان :

سأل القاص تلك المرأة عن عملها فلم تجر حرجا أو عتصامة في أن تخبره عن عملها :  
( أجل ... أجل ... لاختصر وقتي ووقتك أنا ( call girl ) أتعرف معنى هذا لأختصر  
وقتي أكثر ... أنا ممن يسمنونهم ( المومسات ) .

هذا العمل بالنسبة لها لم تجد أي خجل أن تصارح به القاص ، فهو عمل  
كنقبة الأعمال ، وهو عمل له احترامه لأنه له عائد مادي . وقد اختارت تلك المرأة  
تلك المهنة بحريتها ، فليس هناك من قيد أو لوم ، ولم تخجل ولم تحاول أن تخفف  
من وقاحة اسم مهنتها ، لأن هذا ما تقارسه بالفعل ، إذن فلماذا تقارس شيء  
وتطلق عليه اسما آخر غير مسماء ؟!

وحينما عرضت عليه المرأة خدماتها وأسعار تلك الخدمات رفض القاص  
مجرد مناقشتها ، وتعجب كيف تنحط قيمة الإنسان إلى هذا الدرك من الضعة  
والدناءة وأن تبع حسدها ؟ هذا يحدث في بلاد عنوان عن الحضارة وتحمل لواء  
التقدم ، ( ٢٠ ) هو إن ما أزعجني في كلامك أنني تبينت منه بل وضعف  
أصدي على نوع من التحلل المروع ، لا أقول حضارتكم ولكن أحظر ما في هده  
الحضارة وأي حضارة المرأة فيكم . أنتن النساء محربات روحيا وعقليا وفلسفة  
والدي يدهلي أنكن تستطعن إيجاد الزائن من الرجال رجال نشئوا في مجتمع  
معروض أنه راق وأنه غادر تلك المراحل البدائية التجارية الحربية من علاقة  
الرجل بالمرأة - كيف يقبل الرجل يعيش في أرقى بلاد العالم في النصف الثاني من  
القرن العشرين أن يحصل على امرأة ، جسد امرأة بصرف النظر عن إي إحساس  
آخر لديها مقابل بضعة دولارات ينقدها إياها لأنها قبلت أن تتعري له من داخلها

وخارجها . أني لمشمئز من حضارة تصعد بسمو علمها إلى القمر ولا زالت تنحط بجسدها إلى مدارك الرقيق الأبيض ، والأسود ، مشمئز لامرأة مثلك وأنت لست سوى واحدة من جيش عرمرم . امرأة ذكية مثقفة واسعة الاطلاع والخبرة جميلة أجمل من ممثلات أي سينما أن تزاوّل عملاً يمكن أن تفعله أي متخلفة عقلية فهو لا يحتاج إلا... طبعاً أنت تفهمين ) .

فالقاص - هنا - يحكم على المرأة وعملها بقيمه هو ومعايير الحضارة التي ينتمي إليها ، تلك الحضارة التي تعلو بقيمة الإنسان وتحيطه بهالة سامية من القيم والأخلاق . تمنعه من أن ينزل من مكانته إلى مكانة دنيا ، فهذا الفعل - البغاء - مزيم مرفوض في عرف القاص وفي دستور حضارته وقيم محتتمه . لأنه لا ينظر تلك النظرة التي تنظر بها المرأة ، المعيار النفعي المادي للقيمة ، بينما القاص له رأي آخر . فهو ينظر إلى الفعل بغض النظر عن العائد المادي له . بل يحذّر الفعل أن لا يكون له عائد مادي على فاعله وهذا ما نطلق عليه اسم الفضيلة . يحرص الناس - في الشرق - على الحرص عليها والتحلي بها . " ومن هنا كذلك كان من غير المقبول عندنا أن يقال عن الأخلاق مدارها - في نهاية الأمر - منفعة تعود على الناس لأننا نرى أن الفضيلة هي جراءة نفسها أرادها لنا الله وعقلناها . فالفعل عندما يعد فاضلاً في ذاته بغض النظر عن نتائجها ، فهي ضارة بصاحب الفعل أم ناعمة له . وبعبارة أخرى فإننا نقيم الأخلاق على أساس الواجب لا على أساس العائدة وهذا لا ينفي أن الواجب قد يجيء مصحوباً كذلك بنتائج ناعمة فوق كونها واحداً . ولكنه واجب يؤدي قبل أن نفكر فيما يترتب عليه من ضر ونفع " (١) .

١- تحديد الفكر العرمي - د . زكي نجيب محمود - صفحة ( ٢٧٧ )

اختلاف شاسع بين من يضع المنفعة المادية معياراً بها يحدد قيمة الفعل وبين من يضع حكم السماء في تقييم الفعل ، فالعيار الأول مهما كان الفعل ينقص من قيمة الإنسان أو لا يتناسب مع آدميته إلا أنه له قيمته لأنه يتوافق وذلك العيار، وهذا ما جعل المرأة تتحدث عن مهنتها أمام القاص كحديث الدكتور أو المهندس عن مهنتهما ، فالدعارة - هنا - تتساوى والهندسة والطب . لأنها تقف معهما أمام ذلك العيار .

حتى ولو كان لتلك المهنة - إن جاز لنا أن نقول ذلك - بعض الاحتقار الذي ينظر المجتمع إليها ، إلا أن الحرية التي يتمتع بها الفرد تجعله حراً في كل شيء حتى في بيع جسده للأخرين لقاء من . وتلك - في عرفنا - ليست بالحرية وإنما نوع من التحلل ، ففي الوقت الذي يبيع فيه الإنسان نفسه يكون فقد صفاته الإنسانية وبالتالي هدد تلك القيمة في المجتمع كله ، ولا ينبغي أن تمنح حرية لإنسان بحرح بها نفسه من مدارج الإنسانية . ( ٦٢ ) : ( هر أنا الذي سيقول لك هذه المدة كلمات .... محرد كلمات دعوة عظيمة كدعوة الحرية والتحرر تصح تبريراً للتصرف في جسم الإنسان بطريقة غير إنسانية .... هل هذا هو التحرر؟

مري طبعاً.... حريتي أن أبيع نفسي .

مر هذه ليست حرية .. حرية أن يبيع الإنسان جسده ، إنها أولاً تحريم الإنسان إلى تجارة ، إلى تاجر رقيق أيضاً ، ثم تحويل هذا التاجر المفروض - يتاجر في أحساد الآخرين إلى تاجر يتاجر في نفسه هو... يطرحها كأني سلعة تلب

بطاقة السعر ومن يدفع يشتري ويحصل . هل تصورين هذا ؟ يحصل عليك كلك على روحك بأدق خلجاتها . إذ هو يدخل سر أسرارك ) .

وحينما ينظر المجتمع إلى الإنسان تلك النظرة ، ويؤيدها الفرد . يصبح في عداد السلع . واليوم الذي يحدث فيه ذلك هو يوم إهدار الأدمية ، والمكان الذي يحدث فيه ذلك هو مقبرة لكل تلك القيم والمبادئ التي استلهمتها الإنسانية خلال تاريخها الطويل .

وكانت ( مايل جراهام ) تعمل معالجة سمية في إحدى مستشفيات نيويورك ولكنها تركت هذا العمل لتعمل بغيا . لأنه يدر عليها أكثر مما لو كانت تعمل في المستشفى . متعلقة بأن هذا عمل وهذا أيضا عمل . وهذا الانتقال لا غبار عليه مع أن عملها في المستشفى عمل إنساني . أما خارج المستشفى فهو البغاء بعينه لأنه يحقق المنفعة . وتلك المنفعة لا تستهدف الإعلاء من قيمة الإنسان . وإنما تنزل به إلى أسفل سافلين ، ( ١٦٣ ) : ١ هر : نحن أمام الإنسان الذي حوله عالمكم الذي يسمونه للأسف إلى بضاعة إلى ترس إلى جزء من آلة إنتاج واستهلاك كبرى اسمها المحتنع وما دامت كل الأعمال تتشابه في رفض الإنسان أصلا ليا فيصبح الانتقال من عمل إلى عمل مسألة لا تزحج أحدا . ولكنك لم تنتقلي من إنسانة تعمل معالجة نفسية إلى إنسانة تعمل بغية أنت انتقلت من عمل عظيم يدي روحا لانك ساعدين أرواحا معذبة إلى عمل يخرّب روحك إلى عمل يهينك حبة . حبة أسكنب روحها جسدا تستغل صاحبته شققا مفروشة مع عشرة في المائة خدمة . جسدا الخدمة فيه ممتازة جدا فالغام دي شامير مثقفة معالجة متعلمة . قطعنا يفضل أي ربيون السكن في شقتها ) .

تناقض حاد في مجتمع وصل إلى قمة التحضر وتطلق فيه أحدث نظريات العلم والتكنولوجيا ومع ذلك ما زالت هناك بقايا من النظرة البيغائية للإنسان متخلفة إليه من عصر الرقيق الأبيض ، لم يعد الإنسان غاية الغايات ، ولم يعد هو المستهدف من كل نشاط أو فعل وإنما دُرج ضمن الوسائل التي تصل إلى غايات أبعد مثل المال أو غيره . وأصبح الوجود الإنساني فارغا وأجوف لا يشعر الإنسان بثرائه أو امتلائه ، لأنه استنفد جميع طاقاته وإمكاناته .

## المال :

كل الأنشطة وكل القيم بما فيها الإنسان تستهدف غاية واحدة هي المال وقيمة العمل تقاس بقيمة ما يدره من مال ، هذا المنطق الذي كانت تتحدث به للناصر . وكان على طرفي نقيض منها ، لأنه يرى عكس ما تراه ، يرى أن المال لا يزيد عن كونه وسيلة ، ولا يكثرث بالمال قدر اكتراثه بالوسيلة التي حصل من خلالها على المال . ومن خلال ملاحقة المرأة له وذهابها إليه في الفندق ظن أن في الأمر شيئاً فقد تكون عميلة لإحدى المنظمات التي تريد اغتياله أو تريد الحصول على معلومات ما . وحينما كاشفها بالأمر قالت له : ( ٤٦ ) : ( هي : ولو فرض أنني عميلة أعتقد أنني وصلت في عشقك إلى الدرجة التي أعترف لك فيها أنني مدسوسة عليك ؟ ثم أحب أن أقول لك أنا ليس لدي مانع مطلقاً أن أعمل مع أي جهة تدفع بسخاء فالنقود أصححت هي الولاء الأعظم ، وحياة الترف حلم أي امرأة مسحوقة هنا في نيويورك . وأي رجل حتى لو كان الكرسي الكهربائي في نهايتها ) .

فلا بد أن تسير في هذا الطريق الذي دُبحت كل القيم والمبادئ على جانبيه ولم يعد يضى ذلك الطريق سوى طريق المال . يأخذ بمجامع الأبصار . ويظل الإنسان مأحوداً بهذا الطريق الزائف ويسير على هداه حتى ولو كان آخر الطريق هو الكرسي الكهربائي . فهو أعمى عن كل شيء إلا عن مقدار ما سيحصل عليه من مال من أي طريق وبأي وسيلة وبذلك يكون إنساناً راقياً متقدماً متحضراً كما نقرل . ( ٦٢ ) ( الأرقى عندي هو الأكثر نقوداً بأقل جهد ) .

## الوجود الداعر :

الوجود الإنساني أعلى قيمة لدى الإنسان . وكل ما حول الإنسان يتخذ وسيلة لغاية واحدة هي الوجود . ويوجد الإنسان ليستمتع بكل طاقات وإشعاعات هذا الوجود وبفرائه غير المتناهي . أما أن يسخر هذا الوجود لممارسة الحب فحسب أو لجلب كم من المال . فهو نوع من الدعارة الوجودية . وسعار المال دفع الإنسان أن يستبدل حتى وجوده في سبيل الحصول عليه . وليتها صفقة رابحة . ولكنها صفقة المغنون . فقد استبدل أثن شيء يملكه بأثفه شيء لا يملكه . وبذلك يصبح الوجود أخوف خاويًا من كل معنى ولن يعوضه المال أو كل نتاج الحضارة أن يعيد ثراء وجوده . وتلك نقيصة من نقائص تلك الحضارة التي قطعت شوطًا كبيرًا في طريق التقدم والتحضر ونسيت الإنسان وكبانه الوجودي ومتطلبات هذا الوجود . ( ١ )

( لقد نشل الغرب نفسه - وهو صانع العلم الحديث - في أن يقيم لنفسه مثل هذا اللقاء بين الطرفين . فكان له العلم ولكنه فقد الإنسان . وليس هذا الاتهام من عندنا بل يكفي أن تتبع الأدب في أوروبا وأمريكا اليوم - والأدب هو المرآة المصورة للإنسان وما يعتمل في نفسه - لنرى ما يحسه الناس هناك في دخائل صدورهم من ملل وسأم وضيق وحيرة وضباع . إن الإنسان هناك يساير عصره العلمي في مقتضياته ولكنه لا يجد الفراغ ليخلو إلى نفسه ويصغى إليها كأنما كل فرد هناك هو فاوست أغراه الشيطان بأن يبيع نفسه من أجل علم يحصله . أو مال يكسبه . أو قوة يستبد بها ويطلقى . ولسنا نقول ذلك وبإدهاننا أقل درة في الغرض من شأن العلم والمال والقوة . بل نقوله لتؤكد ضرورة أن يضاف إليها شيء أحر هو القيم الحلقية

والجمالية التي تجعل من الإنسان إنسانا بعد أن جعل منه المال والعلم والقوة إنسانا بالطلول والعرض ) .

فإنسان تلك الحضارة خاو من الداخل ، لذلك يشعر بهذا النقص ، فيسارع ببايهم نفسه أنه موجود من خلال ممارسة أي عمل من الأعمال . ( أنا أفعل كذا إذن أنا موجود ) ناسين أن من المحال أن يملأ فعل واحد الوجود الإنساني الرحب الواسع ، أو أن يناط الوجود الإنساني بفعل مثلما أرادت المرأة أن تثبت للخاص أنها موجودة وتشعر بهذا الوجود وتستمتع به لأنها تمارس الحب . ( ٦٦ ) : ( هي ، أنا أمارس الحب فأنا موجودة .

هو : للأسف أنت موجودة ، وإنما ليس لأنك تمارسين الحب ، في الحقيقة أنت موجودة مجرد موجودة لأنك لا تمارسين أحلى وأروع أنواع الوجود المحبوب المرغوب . أنا أمارس الحب فأنا موجودة؟! هل تقبل الطفلة منطلق الطفلة أن يدفع لها مقابل نقدي لقاء حبها لعروستها أو لقطتها؟ هل لا تحس بوجودها إلا وهي فقط تبيع الحب وتمتهن الجسد وتعتدي على كبريائها ، هي قلعاً أما عمياء لا ترى شيئاً بالمرّة أقصد عمياء سلوكياً . أو مفتحة الأعين إنما لا ترى من الكون إلا حافلة الرجل وأجر الساعة ، هذه هي النهاية المحتمة لتقييم الرجل أو المرأة لنفسه ولغيره بحساب ( الدولار - ساعة ) . مادام قد وضعنها على أول الطريق دولار - ساعة فالبعاء هو النهاية المحتمة ) .

وهناك أكذوبة يتمسك بها هؤلاء القوم أو تلك المرأة ، أن لا ضرر ولا ضرار فهي تستمتع بممارسة الحب وأيضا لا تضر أحداً بتلك الممارسة ، نعم ، هذا يؤكد

طاهر الأمر أما حقيقته فهو يؤكد أن هناك ضرراً وصراراً أيضاً ، فالإنسان ليس حراً في التصرف فيما يخص جانبه الإنساني ، لأن تلك قسمة مشتركة مع الناس جميعهم . ولأن الأمر في النهاية أمر قيمة إنسانية ، فإن مس تلك القيمة من أي فرد ، فقد ألحق الضرر بأفراد الجنس البشري كلهم بدون استثناء ، ولكن حينما تستأثر مشاعر الأنانية والذاتية على الفرد لا يكون ثمة قيمة أو شيء من هذا القبيل لا يكون هناك إلا ذلك الفرد ورغباته الدنيئة وملذاته الوضيعة ، ( ٥٥ ) : ( ١ ) : الإنسان يا وأنسة أو يا مدام أو يا دكتورة هو في النهاية بعض القيم خلاص انتهت عندكم القيمة تماما في نيويورك حتى لم يسق إلا الدولار قيمة والمتعة والأنانية الذاتية هي الهدف .

هي . الدولار قيمة هذا صحيح ، أما المتعة فما الضرر أن أستمتع طالما أنني أمتع طرفاً آخر ولا أضر أحداً ؟ ) .

فالحرية الفردية سلاح ذو حدين قد يستخدمها الإنسان في نفع نفسه ونفع المجتمع ، ولكن حينما تستحوذ علينا الأثرة فلا يكون هناك مصلحة المجتمع ولا يكثر الفرد بها بل قد يمارس ما تلمبه عليه شهواته ورغباته وبذلك يكون بسبيل تدمير نفسه وتقويض ذاته .

## القيم :

هذا المجتمع يقف موقفا غريبا من القيم ، فهو يرى أنها ظواهر للمرض وأن الإنسان المتمسك بتلك القيم مريض ، ينبغي معالجته ليشفى مما ألم به ، فهو شاذ أو متأخر ، ما زال يتمسك بقيم لم يعد لها وجود ، بعد أن فقدت تأثيرها في إنسان القرن العشرين وما بعده ، وفقدت سلطانها ونفوذها في ابن الحضارة الغربية في أمريكا ، فكل تلك القيم في نظره تعتبر معوقات وعقبات أمام التحضر وينبغي للإنسان إذا أراد السير في ركب الحضارة - التخلص من كل تلك القيود التي تقيد الإنسان كما يقيد الحبل الدابة ، فليس هناك دليل أو مبادئ تحدد للإنسان تلك القيم وتبين أهميتها ليس في حياته المادية فحسب بل في حياته الوجدانية والروحية ، فالإنسان جسد وروح ، وكما هو في مسيس الحاجة إلى ما يغذي جسده ، أيضا في مسيس الحاجة إلى ما يغذي روحه ، وإلا تغير مفهوم الإنسان لدينا ليصبح حسداً فقط ، وربما هذا راجع إلى أن كل فلسفات - أو معطما - أولت اهتماما بالعقل والعلم وكل فروعها ، ونسبت في غمار انشغالها هذا أن تضع للإنسان - كما وضعت للعلم والتكنولوجيا - فلسفة تحدد المفهوم الحق والشامل للإنسان.

" فنجد الفلسفة السائدة فلسفة تحليل العلم وقضاياها لترى متى تكون الصبغة العلمية المعينة صادقة ومتى لا تكمن ولكنها لا تعاب بالإنسان إذ تترك أمر الإنسان للأدب والفن فلنا عندئذ أن نقول لهم : لا أننا نسايركم في فلسفة العلم

لكننا نوجب أن تضاف إليها فلسفة للإنسان الحالي الذي يبيض في صدره قلب  
ويطمح في حياته إلى أبعد الغايات " (١).

وهذا ما دفع ( باميليا جراهام ) أن تنتهم القاص بالمرض حينما رأته أنه  
تمسك بما يسمى ( القيم ) . فلم يدخر القاص وسعا في مقارعتها بالحجة  
( ٦٥ ) : ( شيء ، منتسمة في سخرية : أنا إذن مريضة يا طليبي السؤال هو  
في الحقيقة : من فينا المريض ؟ لماذا لا تكون أنت المريض بهذه الأفكار التي تزحم  
بها رأسك . مريض بقيمك ومثلك . وأكون أنا الطليبية . لماذا لا يكون الوضع فعلا  
هكذا ؟

مر . أنا يا مدام ( قالها هذه المرة قاصدا ) متحضرا جدا . إن الإنسان ليس  
نقط أرقى الكائنات ولكنه أخطرها على الإطلاق أخطرها حتى على نفسه ، وأنه  
ما لم يزود هذا الإنسان أو بالأصح ينقى من درات الغبار حتى درات الغبار التي  
تعلق بهذا الشيء الخبأ حلف حديثي لاستحالة من أرقى إلى أخطر وأخط كائن  
في الوجود في عكس اتجاه التطور الخلاق . يدمر بادئا أو منتهيا بنفسه ومن حوله  
وكل أولئك الذين كان من الممكن أن يكونوا أحياء وأصدقاءه وحتى معارفيه .

وإن كانت تفهم معنى الأخلاق فهما غريبا ، فهي تراه الصدق مع النفس  
محسب ، وتلك فضيلة لا تكمل إلا إذا كانت تحرص على مكافة النفس الإنسانية  
( ٥٧ ) - ( مر : أنت أخلاقي جدا .

١ - تجديد الفكر العربي - د زكي نجيب محمود - ( ٢٨٦ )

مر: وهذا منتهى التحضر في رأي . فالأخلاق . قمة الخلاق قمة التحضر هي الصدق مع النفس .

مر: وعلى هذا المقياس نفسه فأنا الأخرى أخلاقية جدًا ) .

والقيم ليست منفصلة على الإنسان ، وليست نوعا من القرف ، ولكنها في صميم تكوينه وأحد أعمدة كيانه الأدمي الذي يشهد له انه ابن حضارة إنسانية مرت عليه قرون حتى وصل إلى تلك الدرجة من هذا البناء القيمي الذي يحافظ على أدمية الإنسان ، وبحول بينه وبين التردى في هوة الانحلال . وحينما تصحح المرأة منتدلة سهلة المنال لكل من شاء ، فإنها تدمر تلك الأنثى الإنسانية التي يعتمد عليها في بقاء ونقاء الجنس البشري ، ولأنها يناط بها هذا الدور الخطير مند وحوود الإنسان على الأرض ، فقد تطورت وارتقت تلك الأنثى كما ارتقت الإنسانية وأصحت الإنسانية تتشكل وتتحوّر بما تتشكل عليه تلك الأنثى ، فمنها يتفرع الجنس البشري كله ، فهي بمثابة الجذر ، وإذا أصاب الجذر مرضا انتقل تأثيره إلى بقية الساق والفروع . وأصحت الشجرة كلها مهددة بالسقوط بعدما دبت فيها عوامل الفناء ، ( ٦٠ - ٦١ ) ( مر: الأنثى التي كلفت الحياة ملايين السنين من الإيغال في التعديل والتعديل حتى أصبحت قمة الكون النامية الأنثوية أرقى إبداع للخالق . بقرار أحمر ليس طفلياً بل تافهاً وحقيراً ، فالأطفال أعظم بكثير وأكثر براءة وبظافة .... بقرار كهذا تلغي ملايين السنين من التطور وتقذف نفسها ساقطة هاوية إلى حيث توقف التطور بالقطط والكلاب والفئران ، حتى هذه الحيوانات تحلّى بالجسم ببطولة معركة تدور بين الذكّرين حول القطة وهي الهدية هي الوسام ، والفائز هو فعلا من يستحقها ... إنها أبداً لا تطلب مقدما أو مؤخرًا

أو تأخذ أي شيء ، إنها بكل الجلال والسخاء تعطي ما نقيس بالثمن والساعة نحن لا نتحول إلى بضاعة ذات سعر ، وتفخرين أنت ببدا باعتبارها مهنة كسب أكبر قدر من النقود في أقصر وقت تكسدين الدولارات هذا صحيح ، ولكن الحسبة مغلوطة تماما ، فأنت حتى لو أوغلنا في التشبيه ، رأس مال تكسبين مائة عاجلة وتحسرين مئات آلاف من رأس مالك . وطريقة سهلة جداً تكسب النقود ولكنها كمهنة من أمتهم احتساء وجرع ماء النار في دقيقة يأخذ مائة دولار ولكن الكارثة هي كم ما يحدثه الداخل في أحشائه من تهريؤ وتآكل في صميم روحه ودائه بل وهي جسده ) .

وكانت رسالة الدكتور اد لندك ( نايلا حراهمر ) عموار السلوك الإنساني عند الحيوان والقاعدة لديها هو الحيوان ، تبحث عن السلوك الإنساني عند الحيوان . لأن القيم ليس من خصائصه . وهو كائن متخلف ، أما الإنسان فقد تعدى تلك المرحلة ، نرك مرحلة التخلف والتأخر وترك وراءه كل ما كان يربطه من تلك المرحلة من قيم ومبادئ ومعايير ، وحينما يضع القاص تلك الحياة القاصه والوجود الأسن الصحل إن استمتعها هذا لن يدوم . فحالمنا يرول هذا الجمال الذي يجعل الرجال راغبين فيها رغبة الديدان للحيفة . بدأت تتهمه أنه مومس وبدأت تباحمه حينما رأت أن الضائق يضيق حولها . ( ٦٩ ) هي . نقصد أساسا ما تسميه بلغتك القيم العليا .

شي وما تسميه أنت خصائص الحيوان .

أي حياة لذيذة تلك التي تدفعين فيها الثمن - كدين شيلوك - من لحمك ودمك ! أنها تصبح كمدمن الهيروين الذي يبيع كل يوم أصعاً من أصابعه ليظفر الجرعة . اسمحي لي يا سيدتي أنت مريضة جداً هياً لك مرضك اقتناعاً كاملاً بحياة تعرفين من أعمق أعماقك أنها ملفقة وكاذبة وملينة بخداع النفس .

هي : لقد بدأت أمل حديثك .

مر : لأنه اقترب من نقطة جنونك الحساسة . لقد صغت لنفسك كما تقولين الحياة المثلى وتحدين الرجال وتغيير الرجال . وفوق هذا تكسين نقوداً وسهرات وكل يوم وجه وجسد جديد ولكنك تستيقظين ذات صباح لتجدي أنه لا جديد بالمرة لا وجه ولا جسد ولا حتى إنسان ليقول لك صباح الخير ، أنت كما تبدين في الثلاثين . تصوري كم إنساناً سيحضر عيد ميلادك الخامس والأربعين بل حتى الأربعين .

هي : لقد بدأت تصح مملاً جداً . ماذا تريد مني ؟ ماذا تأخذ على ؟

مر : نفس ما تفخرين به أنك مومس .

هي : ولكنك أنت الآخر مومس . وكل هؤلاء الحليقون المتسمون المتحدثون في همس مؤدب خافت كل من ترى من الرجال والنساء حولك مومسات ومومسون ) .

وحينما يصل القاص معها إلى منطقة لا تحد مناصاً من الاعتراف بأن وجودها أكثر دناءة ووضاعة من وجود الحيوان ولكنها مع ذلك نظيفة لا شيء

إلا لأنها لا تكذب على نفسها ولا على من حولها ، فهي قادرة ، ولا نقول غير ذلك  
لا تضع قناعا على وجهها أو لا تسمى باسم غير اسمها الحقيقي ، ولا تتستر لواجهة  
جميلة ، ولأنها صادقة فهي نظيفة ، لأن القذارة أن تضع قناعا يظهره بصورة  
الحمل الوديع وأنت ذنب ، أو تتسمى باسم يحترمه الجميع بينما هي في الواقع  
مومس . النظافة هي الحقيقة ليس أكثر ، وبهذا المعيار هي نظيفة ، ولكن القاص  
لا يحدع بهذا لأنها حتى لو كانت نظيفة ، فهي – ولا شك – ستخسر نفسها بعد أن  
يدوب وجودها شيئا فشيئا ، كما تدوب قطعة الثلج تحت أشعة الشمس المحرقة  
وتنفجر باصباح غاضبة أنها أنظف قدرة ، أنظف من كل من حولها ، ( ٧٢ ) .  
( هي : لا يمني كلامك أبداً ، أنا قررت حياتي . أنا مومس ولكي نظيفة ، فأنا  
لا أقول أنا مدام فلان ، أو صديقة علان أو أرملة تلتان . أنا نظيفة أقوليا لك  
وللجميع : أنا مومس ويقولني هذا على الملأ أصح أنظف منكم جميعا ، فأنا  
لا أكذب عليكم ولا على نفسي ، أنتم الكدابون والكذب اخدش للشرف من النفاق  
أنا المومس فعلاً ، وما أفعله مومسة ، ولكي نظيفة .

هر لا يا سيدتي لا تخدعي نفسك فأنت تفخرين أنك الوحيدة التي لا تخدعين  
نفسك . قولي أنا مومس وأن بيع الجسد أحقر شيء يرتكبه بشر . ولكي لا أعرف  
لمادا أنا أفعله ولا تهربي حلف رداء العموميات قولي لنفسك أنك ستخسرين  
نفسك وأنت بحاجة إلى من يعالجك أو يأخذ بيدك ) .

وتصل إلى الدرجة التي لا تستطيع فيها الصبر حينما أظهر القاص لنا وحوذاً  
عاريًا بدون تلك الأقنعة الكاذبة التي تحاول أن تحتفي ورائها ، وانفحرت عاضة  
نقر ، ( ٧٢ ) . ( هي أنا نظيفة ... نظيفة ... بل أنا قادرة ... قدرة جداً ولكي أقولها ...

ها أنذا أصرخ بها ....أنا نظيفة جدا لأنني قدرة جدا جدا ....أنا أنظف قدرة أنظف منكم كلكم ، ( بول شيت ) عليكم جميعا ) .

والمجتمع أو الحضارة التي يعيش فيها المجتمع هي التي شكلت الفرد على هذا النمط من التفكير وهي التي ألهمته هذا الإطار الضيق لينظر به إلى الوجود الإنساني الرحب الثري ، إن الإنسان كائن شره نهم ، سيطا الرغبة والتملك تلهبه فتشعل فيه نيران الشهوات ويؤجج الغرائز الحيوانية ، ويعلو صوت الحيوان ليطغى ويطمس صوت الإنسان ، وطالما أصبح حيوانا ، فالمكان أو المجتمع الذي يعيش فيه غابة ، ويسود قانون الغاب ، أن يأكل القوي الضعيف ، فلا قانون ولا قيم ولا أخلاق فكل تلك المسميات من مخلفات العصور المتأخرة القديمة ، ولا تصلح تلك المفاهيم إلا للمتأخرين أو في حصص التاريخ القديم للإنسان . أما في القرن العشرين وفي قمة الحضارة الغربية فاعتمادك في المقام الأول على مكرك ودهائك ونفاقك وسيشع كل شيء لقاء قضاء متعة أو رغبة من الرغبات الحيوانية ، ( ٦٨ ) .

( نبي . إنك أيها الأستاذ العالم تخاطبني وكأنك تخاطب العالم من فوق برج إيفل الشرف والصدق والإنسان المتحضر الراقى أين على سطح كرة أرضية مكونة من وحل وطين ماذا أفعل أنا التي ولدت في غابة لم أصنعها أنا ولكنها كائنة وموجودة أحافظ على بقائي وأحفر بالمأوى والطعام والمتعة وإن لم أجد أسرقها وإن لم أستطع أقتل وأغضبها ! أنت تملك ترف أن تعيش شريفا ولكن غيرك حتى لو أراد لا يملك هذا الترف .

هر: أنت تكذبين على نفسك أنت في إصبعك خائفاً يعول عائلة بأكملها  
في بلادي لثلاثة أعوام أنت لست جائعة لهذه الدرجة .

هي : لأن جوعكم هو أبسط أنواع الجوع جوع الحيوان إلى الطعام ولكن جوعي  
هو جوع الإنسان إلى حياة الإنسان جوع الحياة بمتعة الحياة لمجرد البقاء هي  
حيوانات متخلفة ، إنني جوعي للسفر والرحلة والحياة اللذيذة . الفرق أنكم  
حيوانات جوعي بينما جوعي أنا وجوع غيري هنا هو جوع الإنسان . أشبع أنواع  
الجوع لأنه ليس جوع معدات إنه جوع مراكز عليا وخيالات وأحلام جوع النوازع  
العليا يا أستاذ .

هر : ومن أجل تلك النوازع العليا تنحطين وجسدك إلى ما هو أدنى من  
مراتب الحيوان .

هي فليكن أني أعوص بالحيوان في لأمتع كل ما يجعل مني إنسانا .

هر : تفقدين بهذا الحيوان والإنسان معا . فالإنسان لا يرتفع فوق حيوان  
هابط ، الإنسان يصبح إنسانا حين يشبع فيه الحيوان ويحترم فيه الحيوان  
حيوانيته لكي يستطيع الإنسان فيه بعد هذا أن يفخر ويزهو وإنسانيته . إن الوحل  
لا يصنع أساسا لناطحة سحاب مهما حفلت أدوارها العليا بالديكورات والتحف  
والريئات ) .

إنها تسعى سعيا لاستنفاد أحر قطرة من عصير الوجود ، تعيش بأقوى  
مما تستطيع تحمل الحياة بكل عصلة في كيانها وكل نصة في عروقها . وقد يسرت  
الحضارة المتقدمة لها سبل الاستمتاع بالحياة . ولكن متى ارتعى طالب متعة

الحياة ؟ إنه كشارب الماء الأجاج لا يزيد هذا الشرب إلا عطشا على عطش هذا الظما جعلها تنشد المتعة بأي ثمن . وليس هناك من قيم أو معايير تصنع إفريزا لطريق المتعة . فأي جهة شاءت اتجهت حتى لو باعت نفسها من أجل تلك المتعة بل أن يبيع الجسد أو النفس يكون من أبخس الأثمان لتلك الصفقة . إنهم باعوا أنفسهم للشيطان ففتح لهم أبواب عوالم متخمة باللذة والشهوات والذي جعلهم سلس القيادة للشيطان تلك الفلسفة الزرائعية التي تقيس كل عمل بنتيجته وعائده النفعي ومرجعه المادي . نعم ، قد يصلح تطبيق هذا على المادة الصماء أما على الإنسان الذي قد يضحى بحياته من أجل قيمة أو من أجل مبدأ أو من أجل كلمة ذلك الإنسان الذي يعلم أن لا بقاء لإنسانية الإنسان بدون قيم تكون حاجزا أن تختلط حياته بحياة من هم دونه في الرقي والسمو ، وتلك ميزة وعيب لا نريد أن نغفلها حقها كما لا نريد أن نتجاوز عن عيبها .

أما الميزة فقد ارتقت بالمستوى المادي للإنسان ، وسخرت له البر والبحر يفعل فيهما ما يشاء .

أما العيب فإن هذا التقدم والتحضر فتنه عن نفسه فتساها في غمرة الاستكشاف والبحث والتحليل والابتكار ، وقد قال القاص جملة تعتبر هي المحور الذي يدور حولها فكر الرواية . فحينما دخلت عليه في فندقه وبعد حوار بينهما أضحى الموقف هكذا ( هو . بنصفه عار بدون جاكته وهي بنصفها الأسفل عار بدون بنطلون ) ...

وكأنهما شجرتان هولاه الجذور الضاربة في أعماق التاريخ العريق وهي مثقلة بالثمار على أغصانها ولكن لا جذور هناك . فهي في حاجة إلى تلك الجذور وهو في حاجة إلى تلك الثمار . إلا أنه يرفض تلك الثمار لأنها لم تنبت في أرضه ، فهي غريبة عليه ولن يحدث هذا إلا حينما نأخذ الثمار غداً ما من تلك الجذور التي أنبتتها روحانية الشرق ورسالاته وكتبه ، تسري في شعاب الحدور على هيئة قيم ومعايير وبذلك تكتمل لشجرة الحضارة كل صفاتها الإنسانية . وحينئذ تؤتي أكلها لكل من شاء الأكل ، فالجذور متأصلة في الأرض . ضاربة في أعماق التاريخ القيمي للإنسان والأغصان خضراء منقولة بالثمار المتخمة سا استمدته من الجذور ، وبما أخذته من هواء وشمس الحضارة .

## سيرة ذاتية

الاسم : محمود محمد محمود القلبي

عضو اتحاد الكتاب بالقاهرة - عضوية عاملة رقم ١٩٧٧

الهاتف : ٠٢٠٤٥٣٣٢٠٠٣٩

الفاكس : ٠٢٠١٠٦١٤١٤١٢٤

البريد الإلكتروني : [elkellenymahmoud@yahoo.com](mailto:elkellenymahmoud@yahoo.com)

### الأعمال المنشورة :

- ١- إنهم بدهون : قصص قصيرة دار الشعب بالقاهرة - ١٩٨٢.
- ٢- الدجال والشیطان : رواية مركز معروف بالإسكندرية - ١٩٨٥.
- ٣- إحتارون والكهنة : مسرحية الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة - ١٩٩٥.
- ٤- محبة الإمام أحمد بن حنبل : مسرحية الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٧.
- ٥- مصرع الخراساني : مسرحية الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٢.
- ٦- غائب لا يعرود : مسرحية الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة .
- ٧- الفكر الإسلامي وسنجدات العصر : كتاب المجلس الأعلى للمثقفون الإسلامية بالقاهرة ٢٠٠٥ .
- ٨-- عس حيانك سعيدا : كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار - ٢٠٠٥.

- ٩- -الساء ففدن عروهنر : كتاب مكتبة العلم والإيمان بالمنصورة ٢٠٠٦.
- ١٠- العمرية - في رحاب عمر بن الخطاب. كتاب دار العلم والإيمان بدسوق  
٢٠٠٧.
- ١١- أمير الصحافة العربية : كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار ٢٠٠٩ .
- ١٢- شخصية موسى البى : كتاب مكتبة بستان المعرفة ٢٠١١ .
- ١٣- الإسكندرية عناقيد العشق والغضب: رواية مكتبة بستان المعرفة ٢٠١١.
- ١٤- السرة في وجدان المصريين كتاب مكتبة بستان المعرفة ٢٠١٢.
- ١٥- الماحون عن اللذ كتاب دار العلم والإيمان بدسوق ٢٠١٣.
- ١٦- الحريم من الحار رواية مكتبة بستان المعرفة ٢٠١٣.
- ١٧- بلاد ركنيا عريت : مسرحية البيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٠.
- ١٨- شخصه المسيح كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار ٢٠١٤.
- ١٩- شخصه البى محمد . كتاب دار العلم والإيمان بدسوق ٢٠١٤.

### الجوائز :

- ١- جائزة التأليف المسرحي من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية  
محنة الإمام أحمد .
- ٢- جائزة التأليف المسرحي من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية  
إحنانون والكبنة .

٣- جائزة التأليف المسرحي من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية  
مصرع الخراساني .

٤- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة  
بعنوان ( الذاتية والقيم الوجودية في أدب إبراهيم عبد القادر المازني ) .

٥- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة  
بعنوان ( قيم ومعايير في أدب يوسف إدريس ) .

٦- جائزة المقالة النقدية من المجلس الأعلى للثقافة عن دراسة على قصة  
( الطريق ) لنجيب محفوظ .

٧- جائزة من نادي أبها بالملكة العربية السعودية عن مسرحية محنة الإمام  
أحمد بن حنبل ١٤١٧هـ .

٨- جائزة من نادي القصة بالقاهرة عن رواية بعنوان ( قوس قزح ) ٢٠٠١ .